

(٢٧٢)

خبره مع فاتك

كان أبو شجاع فاتك الكبير^(١) (المعروف بالحنون) رومياً ، أخذ صغيراً ، وأخ وأخت له^(٢) من بلاد الروم ، قرب حصن يعرف بذي الكلاع ، فعلم الخط بفلسطين^(٣) ، وهو ممن أخذه ابن طنج من سيده وهو بالرملة كرهاً بلا ثمن^(٤) ، فأعتقه صاحبه ، فكان معهم حراً في عدة الماليك ، كرم النفس حر الطبع ، بعيد الهمة .

وكان في أيام كافور مقيماً بالفيوم (من أعمال مصر) وهو بلد كثير الأمراض ، لا يصح به جسم ، وإنما أقام به أنفة من الأسود وحياء من الناس أن يركب معه ، وكان الأسود يخافه ، ويكرمه ، فزعا ، وفي نفسه ما في نفسه^(٥) فاستحكمت العلة في بدن فاتك ، وأحوجته إلى دخول مصر فدخلها ، ولم يمكن أبا الطيب أن يعود ، وفاتك يسأل عنه ويراسله بالسلام ، ثم التقيا في الصحراء ، فحمل إلى منزله للوقت هدية قيمتها ألف دينار ذهباً ، ثم أتبعها هدايا بعدها^(٦) .
فقال أبو الطيب بمدحه في جمادى الآخرة^(٧) . سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة^(٨) .

(١) ع : « كان أبو شجاع هذا فاتكا الكبير » .

(٢) مقدمة الديوان « لهما » .

(٣) ق : « بفلسين » تحريف .

(٤) كان الإخشيد قد ولي الرملة سنة ٣١٦ من جهة المقتدر وأقام بها إلى سنة ٣١٨ .

(٥) ق : « ما في نفسه » ساقطة .

(٦) انظر في هذا الخبر : حوادث سنة ٣٥٠ ابن الأثير ٦/٣٦١ .

(٧) مقدمة الديوان : « لسع خلون من جمادى الآخرة » .

(٨) الواحدى ٧٠٤ : « وقال بمدح أبا شجاع فاتكا الملقب بالحنون سنة ٣٤٨ » . التبيان ٣/٢٧٦ :

« وقال بمدح أبا شجاع فاتكا سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة » . الديوان ٥٠١ - ٥٠٢ مثل المقدمة المذكورة . العرف الطيب ٥٢٥ .

١- لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالَ^(١) فَلَيْسَعِدِ النَّطْقَ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالَ

يقول لنفسه : ليس عندك خيل ولا غيرها من الأموال تهديها إلى فاتك ،
مكافأة على إحسانه ، فأنت^(٢) قادر على مدحه ، فساعده بالقول الجميل ، إن لم
يساعدك الحال على الأجر الجزيل . وهذا كقول الحطيئة^(٣) .
إِلَّا يَكُنْ مَالٌ يُثَابُ فَإِنَّهُ سَيَأْتِي ثَنَائِي زَيْدًا بِنَ مُهْلَهْلِ^(٤)
ومثله للمهلبى^(٥) :

٢- وَأَجْرُ الْأَمِيرِ الَّذِي نِعْمَاهُ فَاجِئَةٌ
بِغَيْرِ قَوْلٍ ، وَنَعْمَى النَّاسِ^(٧) أَقْوَالُ

« فاجئة » : اسم فاعل من الفجاءة .

يقول : كافئ الأمير الذي يفاجئني بإنعامه من غير وعد ، وغيره يقول
ولا يفعل : يعرض بكافور [٣٣٣ - ١] .

٣- فَرِّمًا جَزَتْ الْإِحْسَانَ مُوَلِيَهُ خَرِيدَةً مِنْ عَذَارَى الْحَيِّ مِكَسَالُ

(١) هذا من الابتداء الذي يكره السامع سماعه بأن يقول : « لا خيل عندك تهديها ولا مال » . وهو
أول ما يقوله للممدوح .

(٢) ق . شو : « فإنك قادر » .

(٣) هو : جرول بن مالك كان راوية زهير ، فنجم مقبول الكلام . شروذ القافية . نحيب اللسان .
حتى أنه هجا أباه وأمه وامراته ونفسه ! خاص الخاص ١٠٣ .

(٤) ديوانه ٨٤ ولباب الآداب ٢٢١ والواحدى ٧٠٤ والتبيان ٢٧٧/٣ .

(٥) هو : يزيد بن محمد بن المهلب بن المغيرة ، أبو خالد ، المعروف بالمهلبى ، شاعر من أهل
البصرة . اتصل بالمتوكل العباسى ونادمه ومدحه وراثه بقصيدة من عيون الشعر ، أو ردها المراد فى الكامل
وتوفى سنة ٢٥٩ . الموشح ٣٤٣ وسمط اللآلى ٨٣٩ ورغبة الآمل ج ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ وبيتمة الدهر ١٥٦/٢
و ٥/٣ .

(٦) الوساطة ٣٣٧ والواحدى ٧٠٤ والتبيان ٢٧٧/٣ وفيه : « فإننى بالثنا والشكر » وشرح البرقوقى

٤٩٠/٣ .

(٧) ق . « ونعمى القوم » .

الحريدة : الجارية الناعمة ، وقيل الكثيرة الحياء . والمكسال من النساء :
الفاترة^(١) القليلة التصرف .

يقول : إذا كانت النساء مع ضعفهن ، وعادتهن كفران النعم ، ربما جازين من
أحسن إليهن ، فأنت أقدر على شكر من أحسن إليك .
وخص من النساء الحريدة المكسال ؛ لضعفها وفتورها .

٤- وَإِنْ تَكُنْ مُحْكَمَاتُ الشُّكْلِ تَمْنَعُنِي ظُهُورَ جَرِيٍّ فَلِي فِيهِنَّ تَصْهَالُ

« الشُّكْلُ » : جمع الشُّكَالِ^(٢) .

يقول : إن كان ضيق حالي يمنعني من مكافأتك فعلا ، فإنني أكافئك قولاً يظهر
ما في نفسي^(٣) ، كصهيل الجواد يظهر ما في نفسه من الشوق إلى الجري . شبه نفسه
بالجواد المشكول ، إذا لم يقدر على الجري صهلاً شوقاً إليه .

وقيل : معناه إذا لم أقدر^(٤) على المكاشفة بنصرتك على كافور ، فإنني
أمدحك ، وإني في ذلك كالجواد المشكول [عن] الجري فإنه يصهل شوقاً إليه .

٥- وَمَا شَكَرْتُ لِأَنَّ الْمَالَ فَرَحَنِي سِيَّانٍ عِنْدِي إِكْتَارٌ وَإِقْلَالٌ

الإكثار : كثرة المال . والإقلال : قلته ، وأراد الغنى والفقير .

يقول : لم أشكر ؛ لفرحي بالمال الذي أسديته إلي^(٥) ، وسواء عندي الغنى
والفقر^(٦) .

٦- لَكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحًا أَنْ يُجَادَ لَنَا

وَأَنَا بِقَضَاءِ الْحَقِّ بُخَالٌ

(١) ق : « الفارة » تحريف .

(٢) الشُّكَالُ : القيد . يقال شكلت الدابة أي قيدتها . اللسان : ع : « الشُّكَالُ » .

(٣) ذكر صاحب التبيان هذا القول عن المعري ونسبه إليه وزاد : « وكان فانك هذا المدوح ينطوي

على بغض كافور ومعاداته . وكان أبو الطيب يحبه ويميل إليه ولا يمكنه إظهار ذلك خوفاً من الأسود » .

(٤) ق : « إذا قدر » . (٥) ق : « استديته » . ع : « أسدي » .

(٦) ق : « الفقر والغنى » . والإكثار : الغنى . والإقلال : الفقر .

« بُخَالٌ » : جمع باخِل .

يقول : إنما شكرت لك لأني رأيت بخلي بقضاء الحق مع جودك على قبيحاً .
قال ابن جنّي : لما وصلت في القراءة إلى هذا الموضع ، قال المتنبي : هذا رجل
حمل إلى ألف دينار^(١) في وقت واحد .
قال : وما رأيت أشكر لأحدٍ منه لفاتك^(٢) ، وكان يترحم عليه كثيراً .

٧- فَكُنْتُ مُنِيتَ رَوْضِ الْحَزَنِ بَاكِرَهُ
غَيْثٌ يَغْيِرُ سِبَاخِ الْأَرْضِ هَطَالُ

يقول : نمت صنيعته عندي ، وزادت كالأرض الطيبة إذا صابها المطر الكثير
ولم يذهب باطلا ، كالمطر في الأرض السبخة^(٣) .

٨- غَيْثٌ يَبِينُ لِلنُّظَارِ مَوْقِعَهُ
أَنَّ الْغَيْوْثَ بِمَا تَأْتِيهِ جُهَالُ

« مَوْقِعُهُ » : فاعل يُبِينُ ، ويجوز فيه النَّصْبُ ، فيكون فاعله ضمير الغيث .
يقول : إن فاتكاً غيثٌ يولي بإنعامه مَنْ هو أهله ، فإذا نظر الناس علموا أن
الغيوث جاهلة بما تفعله : من سقى المكان السبخ والطيب . فوقع نعمه يبين هذا
المعنى .

٩- لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا سَيْدُ فَطْنٍ
لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَالُ

يقول : لا يصل إلى المجد إلا كل فطنٍ يراعى أحوال القضاء ، ويتحمل المشاق
التي تشقُّ على سائر السادات .

(١) ع : « حمل نفسه على قيمة ألف دينار » .

(٢) ع : « من فاتك » .

(٣) ع : « السخنة » تحريف .

١٠- لَا وَارِثٌ جَهَلْتُ يُمْنَاهُ مَا وَهَبْتُ^(١)

وَلَا كَسُوبٌ بَغَيْرِ السَّيْفِ سَأَلُ

[٣٣٣ - ب] يقول : لم يرث هذا المال الذي وهبه من آبائه فيجهل قدره ، حيث لم يلحقه عناء بجمعه ، بل كسبه بسيفه وقهر عليه أعداءه ، ولم يجمعه بالسؤال ، حتى لا يعرف خطره .

و « لا » في قوله : « لا وراث » بمعنى غير : أى غير وراث . وقيل : إنها عاطفة كقولك : « جاءنى زيد لا عمرو » : أى لا يدرك المجد إلا سيد فظن لا وراث جاهل بقدر ما يهب .

١١- قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلًا فَأَفْهَمَهُ إِنَّ الزَّمَانَ عَلَى الإِمْسَاكِ عَدَالُ

يعنى : أن الزمان أيقظه بتصاريفه ، حتى كأنه عدله على الإمساك ، وأمره بأن يهب كما يكسب المجد والشرف ، فكانه قال هذا القول^(٢) :

١٢- تَدْرِي القَنَاةُ إِذَا اهْتَرَتْ بِرَاحَتِهِ أَنَّ الشَّقِيَّ بِهَا خَيْلٌ وَأَبْطَالُ

يقول : إذا تحركت القناة في يده ، علمت أنه يقتل بها الأبطال ، والخييل . وهذه الأبيات من تمام قوله : « لا يُدْرِكُ المَجْدَ إِلا سَيِّدُ فِطْنٍ » .

١٣- كَفَاتِكَ . وَدُخُولُ الكَافِ مَنَقَصَةٌ

كَالشَّمْسِ قُلْتُ ، وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ

يعنى . لا يبلغ المجد إلا سيد كفاتك ، ثم استدرك وقال : « ودخول الكاف^(٣) »

(١) ق ، شو : « ما كسبت » .

(٢) لأنه لم يكن ثم قول ولكنه انعط واعتبر بتصاريف الزمان .

(٣) قال الواحدى : لم يعرف ابن جني وجه دخول الكاف في « كفاتك » فقال : الكاف ها هنا

زائدة ، وإنما معناه وتقديره « فاتك » أى هذا المدح فاتك ، هذا كلامه وجميع البيت مبنى على هذه

الكاف فكيف يمكن أن يقال إنها زائدة . انتهى الواحدى ٧٠٦ .

منقصة « أى إذا قلت : كفاتك جعلت له نظيراً ، ولا نظير له ، ثم اعتذر فقال : إنما قلت : كفاتك مع علمى أنه لا نظير له ، كما أشبه الأشياء بالشمس ، وأعلم أنه لا مثل لها ، ولم يوجب ذلك نقصاً فيها كذلك هذا. ومثله لآخر :

لَقَدْ جَلَّ فِي أَوْصَافِهِ وَخِطَابِهِ عَنِ الْكَافِ إِلَّا أَنْ يُقَالَ كَرِيمٌ
١٤- الْقَائِدُ الْأَسَدَ غَدَّتْهَا بَرَائِنُهُ بِمِثْلِهَا مِنْ عِدَائِهِ وَهِيَ أَشْبَالُ

يقول : هو يقود غلماناً رباهم بأسلاب أعدائه ، حتى صاروا كالأسود . وقوله : « بمثلها » أى غدتهم برائنه : أى سيوفه^(١) ، بأسلاب أسودٍ أمثالهم من أعدائهم ، وهذه الأسود أشباله .

جعله أسداً ، وغلمانه حوله كالأشبال .

١٥- الْقَاتِلُ السَّيْفَ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ
وَلِلسُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالٌ^(٢)

يقول : يضرب الفارس سيفه فيقتله ، ويكسر السيف في جسمه^(٣) . وقوله : « وللسيوف كما للناس آجال » أخذه من قوله ﷺ : « لا تضربوا إماءكم بكسر إنايكنم ، فإن لها آجالاً كآجالكم »^(٤) والمصراع الأول مثل قوله : قَتَلَتْ نَفْسَ الْعِدَى بِالْحَدِيدِ حَتَّى قَتَلَتْ بِهِنَ الْحَدِيدَ^(٥)

= وهذه الكاف هي التي يقال لها : كاف الاستقصاء ذكرها أهل العربية انظر العرف الطيب ٥٣٧ .
(١) أى سيوفه كالبرائن ، والبرائن من السباع والظير بمنزلة الأصابع من الإنسان والمخلب : ظفر البرائن . التبيان ٣ / ٢٨٠ .

(٢) ق : « آجال » تحريف .

(٣) ق : « في حكمه » .

(٤) ورد الحديث في الجامع الصغير ٣٣٧ بهذه الرواية : « لا تضربوا إماءكم على كسر إنايكنم فإن لها آجالاً كآجال الناس » رواه عن أبي نعم في الخلية وضعف آخره .

(٥) ديوان أبي الطيب ١٢٤ والتبيان ١ / ٣٧٠ ورواية النسخ : « قتل نفس العدا بالسيف » .

١٦- تُغَيِّرُ عَنْهُ عَلَى الْغَارَاتِ هَيْبَتَهُ
وَمَا لَهُ بِأَقَاصِي الْأَرْضِ (١) أَهْمَالٌ

الأهْمَالُ : جمع الهُمْلِ والهُمَالِ (٢) ، والهُمْلُ : جمع الهامل ، وهو المال
المُهْمَلُ في المرعى بلا راعٍ (٣) .

يقول : [٣٣٤ - ١] إن هيبته تُغَيِّرُ عن الممدوح غارات اللصوص : أى
تُبعدهم عن التعرُّض لماله ، فإله يرعى في المرعى مهمل (٤) بلا راعٍ ، فلا يتعرض
إليه أحد من الهيبة (٥) .

١٧- لَهُ مِنَ الْوَحْشِ مَا اخْتَارَتْ أَسِنَّتُهُ :
عَيْرٌ وَهَيْقٌ وَخَنَسَاءٌ وَذِيَالٌ

[العير : حمار الوحش والهيق : ذكر النعام] (٦) والأنثى هيقة ، والخنساء :
البقرة الوحشية . والذِيَالُ : الثور الوحشى .
يقول : إنه يقدر على اصطياد كل ما يختاره .

١٨- تُنْسِي الضُّيُوفُ مُشَهَّاءَ بِعَقْوَتِهِ كَانَ أَوْقَاتَهَا فِي الطَّيِّبِ آصَالٌ
« عَقْوَتُهُ » سهله وما قرب منه (٧) . والمشهَّاءُ : من قولهم : شهَّيته : أى جعلته

(١) في الديوان والبيان : « بأقاصي البر » .

(٢) ع : « والهمال » ساقطة ، ق : « الحمل والحمل والحمل » .

(٣) هملت الإبل هملا : سرحت بغير راع ، فالبعير هامل ويجمع على : همل ، وهمل ، وهمال والناقة
هاملة جمعها هوامل . وأهمل إبله : تركها بلا راع ولا يكون ذلك في الغنم . اللسان .

(٤) ع : « همَل » .

(٥) ع : « فلا يتعرض إليه أحد له لهيبته » .

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من البيان .

(٧) ع : عقوته : محله وما كان قريبا منه . البيان العقوة : ما حول الدار . والسهل : الأرض

المنبسطة لا تبلغ الحضبة .

يشتهى ، أوائلته ما يشتهى^(١) . والآصال : جمع أصل ، وأصا . جمع أصيل ، وهو بعد العصر ؛ وذلك الوقت يطيب خاصة في الصيف^(٢) .
يقول : إنه يكرم أضيافه ، ويمكّنهم من كل ما يشتهونه ، فأوقانهم كلها عنده طيبة كالأصال .

١٩- لَوِ اشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لَبَادَرَهَا خَرَاذِلُ مِنْهُ فِي الشُّيْزَى وَأَوْصَالُ

القارِي : المضيف ، وهو الممدوح ، ولحم خراذل بالذال والذال : مقطع^(٣) والواحد خردلة . والشيزي : جفان سود يُقال إنها من الشيز^(٤) .

قال الأصمعي : الشيز لا يعمل منه الجفان ، وإنما تعمل من الجون^(٥) فتسود من الدسم فتشبه الشيز ، والهاء في « قاريها » و « بادرها » للأضياف ، وفي « منه » للحم ويجوز أن يكون للممدوح .

يقول : لو اشتهت الأضياف لحمه لنحر لهم نفسه ، وحملت قطعاً^(٦) إلى الضيوف في الجفان ، وحملت إليهم أوصاله^(٧) مقطعة .

٢٠- لَا يَعْرِفُ الرُّزَّةَ فِي مَالٍ وَلَا وَلَدٍ إِلَّا إِذَا حَفَزَ الضُّيْفَانَ تَرَحَّالُ

الحفز : التحريك والإزعاج .

(١) ع : « ما يشتهى » .

(٢) إنما يستطاب لشدة الحر قبله ، وأنه وقت هبوب الريح وانقطاع الحر بأفول الشمس .

(٣) ق ، شو : « مقطع » ساقطة .

(٤) الشيز والشيزي : خشب أسود تعمل منه الأمشاط والجفان ونحوها ، وقد يطلق كل منها على

ما صنع منه فيقال للأمشاط والجفان : الشيزي . اللسان .

(٥) المراد بالجون هنا : الجوز الأبيض . والجون يطلق على الأسود والأبيض ، لأنه من أسماء الأضداد

وقد يطلق على الأسود تحالطه حمرة وهو خشب الجوز وبه قال التبيان ، انظر التبيان واللسان .

(٦) ع : « قطع لحمه » .

(٧) الأوصال : جمع وصل بضم الواو وهو العضو . الواحدى .

يقول : لا يَغْتَمُّ لشيء أصابه في ماله وولده ، وإنما يجزن عندما يتأهب الضيف للرحيل ^(١) .

٢١- يُرْوَى صَدَى الْأَرْضِ مِنْ فَضْلَاتِ مَا شَرِبُوا
مَحْضُ اللَّقَاحِ ، وَصَافِي اللَّوْنِ سَلْسَالُ

الصدى : العطش ، وأراد هاهنا يُسُّ الأرض . والمحض : اللبن الخالص ^(٢) . واللّقاح : جمع لَقْحَةٍ ، وهي الناقة التي تحلب . والسّلسال : الشراب الصافي السهل المساغ ، وأراد به الخمر .
يقول : إذا رحل أضيافه أراق ما يبقى من شرابهم من اللبن والخمر ، ولم يدخره لغيرهم ، لأنه يتلقى كل ضيف بقري جديد .

٢٢- تَقْرِي صَوَارِمُهُ السَّاعَاتِ عَبَطَ دَمٌ
كَأَنَّمَا السَّاعُ نَزَالٌ وَقُقَالُ ^(٣)

العبط والعبيط : الدّم الطريّ واللحم . والسّاع : جمع ساعة .
يقول : يريق كلّ ساعة دمًا طريًا من أعدائه ، ويذبح وينحر للأضياف ، فكأنه يقري السّاعات بما يُريقه من الدماء ، وكأنها قوم ينزلون ، وقوم يقفلون عنه . [٣٣٤ - ب] .

٢٣- تَجْرِي النَّفُوسُ حَوَالِيهِ مُخَلِّطَةً مِنْهَا عُدَاةٌ وَأَغْنَامٌ وَأَبَالٌ

النفوس : الدماء وقد روى ذلك أيضًا .
يقول : إنه يقتل الأعداء وينحر الآبال ويذبح الأغنام ، فتختلط الدماء بعضها ببعض .

(١) هذا من الإفراط الذي لا يكون .

(٢) المراد الذي لم يشب بماء .

(٣) ع . ف . شو : « قفال ونزال » .

والتقدير: منها دماء أعداء ومنها دماء أغنام. فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه^(١).

٢٤- لَا يَحْرِمُ الْبَعْدُ أَهْلَ الْبَعْدِ نَائِلُهُ
وغيره عَاجِزَةٌ عَنْهُ الْأَطْفَالُ
«الأطفال»: تصغير أطفال.

يقول: يصل نواله إلى القريب والبعيد، والقوى والضعيف، فلا يحرم البعيد نائله لأجل بعده، والضعيف لا يعجز منه لصغر سنه.

٢٥- أَمْضَى الْفَرِيقَيْنِ فِي أَقْرَانِهِ ظُبَّةٌ وَأَبْيَضُ هَادِيَةٌ وَالسُّمْرُ ضُلَّالٌ
يقول: إذا التقى الجيشان، وسقطت الرماح السمر، وآل الأمر إلى السيوف البيض، فهو أمضى الفريقين سيفاً في ذلك الوقت.

٢٦- يُرِيكَ مَحْبَرُهُ أضعافَ مَنْظَرِهِ بَيْنَ الرَّجَالِ وَفِيهَا الْمَاءُ وَالْآلُ
الهاء في «فيها» للرجال.

يقول: إذا جربته في الحرب رأيت منه أضعاف منظره. وفي الرجال من له حقيقة كالماء، وفيهم من لاحقيقه له كالسراب^(٢).

٢٧- وَقَدْ يُلْقِبُهُ الْمَجْنُونَ حَاسِدُهُ إِذَا اخْتَلَطْنَ وَبَعْضُ الْعُقَلِ عُقَالٌ
العُقَال: داء يأخذ الدابة في الرجلين، فيعقلها عن التصرف. ويجوز تخفيفه^(٣). وقوله: «إذا اختلطن» قيل: أراد به الصفوف فأضمر، وقيل: أراد به خيله وخيل عدوه.

(١) ع: «وأقام المضاف إليه مقامه» مهمل.

(٢) ق، شو: «كالسراب» مهمل.

(٣) ق، شو: «تخفيفه».

كان فاتك يلقب بالجنون ، فصرح بذكر لقبه ثم (١) تخلّص منه أحسن تخلّص ، حتى فضل الجنون على العقل .

فيقول : إنما جنونه عند (٢) اختلاط الصفوف ، والعقل في ذلك الوقت عقال على صاحبه ، فجنونه : شجاعة وإقدام (٣) ، لا كما يزعمه الحاسد . فحسن لقبه (٤) !

٢٨- يرمى بها الجيش لا بدّ له ولها
من شقه ولو أنّ الجيش أجبال

« بها » أي بالخيّل . والهاء في « له » للمدوح .
يقول : يرمى بخيله جيش العدو ، فلا بدّ له ولخيله من شقّ الجيش ، وإن كان كالجبل شدة وثباتا .

٢٩- إذا العدى نشبت فيهم مخالبه
لم يجتمع لهم حلم ورئبال

« نشبت » : ثبتت . والرئبال : الأسد .
يقول : هو في يوم الحرب أسدّ ، فإذا نشبت مخالب الأسد في فريسة ، فلم يكن حينئذ حلم ، إذ الحلم لا يوجد مع الأسد .
وهذا تأكيد لتحسين لقبه ، وتفضيله على العقل .

٣٠- يروعه من دهر صرفه أبداً
مجاهر (٥) وصروف الدهر تغتال

(١) ق . « فصرع بذكر لقبهم » تحريفات .

(٢) ق : « عند » مهمله .

(٣) ع : « فجنونه : شجاعته وإقدامه » .

(٤) قال ابن جني : ولم يفضل الجنون على العقل بأحسن من هذا . التبيان .

(٥) ق : « مهاجر » تحريف .

يقول : هو على أعدائه كالدهر ، يروعهم أبداً بحروبه وغاراته مجاهرة ، بخلاف
صروف الدهر فإنها تغتالمهم ولا تجاهرهم . فضلة على الدهر [٣٣٥ - ١] .

٣١- أَنَالَهُ الشَّرْفَ الْأَعْلَى تَقَدَّمَهُ فَمَا الَّذِي يَتَوَقَّى مَا آتَى نَالُوا
« ما » في قوله : « فما الذي » قيل : للاستفهام على جهة الإنكار ، « الذي »
في موضع نصب « بنالوا » والتوقى : مصدر توقى ، وهو مضاف إلى « ما »
[الثانية] وما^(١) في موضع الجر ، وتقديره : فأى شىء نالوا بتوقئهم ما أتاه هو؟
يقول : أوصله إلى نيل الشرف الأعلى جراته ، فما الذى نال أعداؤه لما توقوا
ما أتاه ، وأشفقوا على أنفسهم؟

وقيل : « ما » الأولى نى والثانية بمعنى الذى . و« يتوقى » فعل مضارع^(٢)
انصب به « ما » و« الذى » في موضع اللذين .
والمعنى : أن تقدمه أناله الشرف الأعلى ، فليس الذين يتوقون الشرف الذى أتاه
هو ، نالوا ما ناله من الشرف^(٣) . أى إنهم لما جنبوا عن مباشرة الشدائد^(٤) لم
ينالوا ما ناله .

٣٢- إِذَا الْمُلُوكُ تَحَلَّتْ كَانَ حَلِيَّتَهُ مُهَنْدٌ وَأَصَمُّ الْكَعْبِ عَسَالٌ

اسم كان مضمر ، والجملة في موضع النصب على أنها خبر كان : أى كان هو ،
أو كان الأمر والشأن حليته مهند ، ولو نصبت « حليته » على الخبر وجعلت
« مهنداً » اسمها^(٥) كان قبيحاً^(٦) ، لأن الخبر يكون معرفة والاسم نكرة ، ومثل هذا

(١) ق ، ع : « ونا » بدل « وما » .

(٢) وهذا على أن الرواية في البيت : « يتوقى » والرواية الأولى وهى المثبتة في البيت :

« يتوقى » .

(٣) ع : « من تقدمه من الشرف » .

(٤) ق : « لما جنبوا عنه مباشرة الشدائد » تحريفات .

(٥) ق : « ولو نصب حليته على الجر وجعلت بهذا اسمها » تحريفات .

(٦) حليته : يروى بالنصب على أنه خبر كان ، واسمها النكرة بعد كما في قول الشاعر : « يكون مزاجهاً

عسل وما » . ويجوز رفعه على أنه مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر كان واسمها ضمير الشأن أو ضمير
المدح .

قد جاء في الشعر .

يقول إذا ترين الملوك بالحل بالحللى فهو يترين بسيفه ورمحه .

والمسأل : الرمح المضطرب .

٣٣- أبو شجاع أبو الشجعان قاطبة هؤل نمته من الهيجاء أهوال

« نمته » هاهنا أى ولدته ، وأصله من الانتماء ، وهو الانتساب .

يقول : من حقه أن يكنى أبا الشجعان قاطبة ، لا أبا شجاع واحد^(١) . وهو

هؤل نمته أهوال من الهيجاء : أى ممارسة الخطوب أعلت قدره وصارت نسباً له^(٢)

يتمى إليه .

« أبو شجاع » : مبتدأ . و « أبو الشجعان » : بدل منه . و « قاطبة » : نصب

على المصدر أو الحال . و « هؤل » خبر المبتدأ^(٣) . و « أهوال » رفع « بنمته » ويجوز

أن يكون « أبو شجاع » مبتدأ و « أبو الشجعان » خبره . و « هؤل » خبر ابتداء

مخذوف : أى هو هؤل ، أو بدل من أبى الشجعان .

٣٤- تملك الحمد حتى ما لمفتخر في الحمد حاء ولا ميم ولا دال

يقول : قد استولى [على] الحمد كله واستحقه بفضله ، حتى لم يبق لأحد

شيء^(٤) من الحمد وأجزائه .

٣٥- عليه منه سراييل مضاعفة

وقد كفاه من الماذى سربال

« منه » أى من الحمد . والماذى : الدرع اللينة الصافية .

(١) ق : « إلا أبا شجاع والأحد » تحريفات .

(٢) ق : « بسالة » .

(٣) ق : « مبتدأ » . ع : « لا ابتداء » .

(٤) ق : « لم يبق شيء » .

يقول : عليه من الحمد . سراويل ظاهرة مضاعفة ، وفي الحرب يكتفى بدرع واحد . يعني لا يرضى من الحمد إلا بالسراويل المضاعفة^(١) ويكفيه في الحرب سراويل واحد .

وقيل : عليه لباس الحمد المضاعف ، وقد كفاه الدرع وإن لم يكن الحمد ، فاجتمعا له جميعا ، حتى يكون ذلك أشرف له .

٣٦- وَكَيْفَ أَسْتَرُّ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ
وَقَدْ غَمَّرْتُ نَوَالًا أَيَّهَا النَّالُ

[٣٣٥- ب] رَجُلٌ نَالٌ : أى كثير النوال .

يقول : كيف أستر أفضالك ، وقد أكثرت على نوالك وغمرتني به ، حتى لا يمكنني ستره .

٣٧- لَطَّفْتَ رَأْيَكَ فِي وَصَلِي^(٢) وَتَكْرَمْتَنِي
إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْعَلِيَاءِ يَحْتَالُ

[يقول :] لطفت رأيك واحتلت في إحراز ثنائى ومدحى ، وهذه عادة الكرام بتوصلون إلى اكتساب المعالي بكل حيلة .

٣٨- حَتَّى غَدَوْتَ وَلِلْأَخْيَارِ تَجَوَّالُ
وَلِلْكَوَاكِبِ فِي كَفِّكَ آمَالُ

يقول : لما تلطفت في إكرامى ومدحتك فجال ذكرك بين الناس ، وطمعت النجوم في نوالك .

وهذان البيتان مدح أبو الطيب بهما نفسه ! يعنى : أنا كالتجم من بعدى من عطاء مثلك ! فلما احتلت في إيصال برك إلى رغبتم النجوم أيضا في نوالك .

(١) ق : من « مضاعفة . . . المضاعفة » ساقط انتقال نظر .

(٢) ع : والواحدى والبيان والعرف الطيب ٥٣٠ : « فى برى » بدل : « فى وصلى » .

٣٩- وَقَدْ أَطَالَ ثَنَائِي طُولُ لَابِسِهِ
إِنَّ الثَّنَاءَ عَلَيَّ التَّنْبَالُ تَنْبَالُ

« التنبال » : القصير ، وعنى بطول لابسه طول السؤدد والكرم .
يقول : إذا مدح الانسان كريما كثير الفضائل طال حمده بطول كرمه ، وجاد
شعره ، وإذا مدح لثما قليل الكرم لؤم شعره وقل^(١) ؛ لأن المادح لا يجد ما يمدح .
به .

٤٠- إِنْ كُنْتَ تَكْبُرُ أَنْ تَحْتَالَ فِي بَشْرِ
فَإِنَّ قَدْرَكَ فِي الْأَقْدَارِ يَحْتَالُ

يقول : إن كنت ترفع نفسك من أن تتكبر على الناس ، فإن قدرك يجتال على
كل قدر ويتكبر على كل ذى فخر .

٤١- كَأَنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبِهَا
إِلَّا وَأَنْتَ عَلَيَّ الْمِفْضَالِ مِفْضَالُ

٤٢- وَلَا تَعُدُّكَ صَوَانًا لِمُهْجَتِهَا
إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا فِي الرَّوْعِ بَدَالُ

يقول : كأن نفسك . تفوق كل متفضل من الناس^(٢) ولا ترضى أن تكون
صاحبها حتى تفضل على كل ذى فضل ، ولا تعد أنك تصونها إلا بدلتها في
الحرب ، فأنت تقتحم على كل غمرة ، وتحمل نفسك على كل مهلكة .

٤٣- لَوْلَا أَلْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ
الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ

يعنى : أن السيادة لا تتم إلا ببذل المال ومخاطرة النفس ، فالجود يؤدي إلى

(١) ق : « ذم شعره وقيل » تحريف .

(٢) هذه العبارة : « تفوق كل متفضل من الناس » جاءت زائده في آخر شرح البيت رقم ٤٠ .

ومن رقم ٤٠ حتى رقم ٤٥ اضطراب في نصوص الأبيات والشرح فوضع شرح البيت ٤٣ لنص البيت

٤٢ وذلك في ق .

الفقر ، والإقدام [يفضى] إلى العطب . ولولا مشقة هاتين الخلتين لكان الناس كلهم سادة .

٤٤- وَأِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ مَاكُلُّ مَا شَبَّهَ بِالرَّحْلِ (١) شِمْلَالُ

الشِّمْلَالُ : النَّاقَةُ السَّرِيعَةُ الْخَفِيفَةُ . يعنى : كلّ أحد يسعى على قدر همته ومبلغ طاقته ، وليس الناس سواء ، كما أنه ليس كل ناقة شمّلال .

٤٥- إِنَّا لَفِي زَمَنِ تَرَكَ الْقَبِيحَ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانًا وَإِجْمَالًا

فَصِرْنَا فِي زَمَانٍ لَا خَيْرَ عِنْدَ أَهْلِهِ ، فَن كَفَّ أَذَاهُ عَنِ النَّاسِ فَهُوَ يَحْسُنُ عِنْدَهُمْ .

ولطف في قوله : « من أكثر الناس » حتى لا يدخل المدح .

٤٦- ذِكْرُ الْفَتَى عُمُرُهُ الثَّانِي ، وَحَاجَتُهُ
مَا قَاتَهُ (٢) وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ

يقول : ذكر الإنسان بعد موته يقوم له مقام العمر الثاني ، فكأنه موجود وغير معدوم [٣٣٦ - ١] ، وحاجته من الدنيا ما يقوته ، وما فضل عنه يكون شغلاً له .

يمنعه عن جمع المال ويحثه على العلاء . وروى : « ما فاته » أى هو محتاج أبداً إلى ما لم ينله ، فأما ما ناله فلا حاجة به إليه .

قال ابن جنى : قد جمع في هذا البيت ما يعجز كل من يدعى الشعر والحكمة والكلام الشريف ، فينبغى أن يلحق بالأمثال السائرة . ومثله لسالم بن وابصة (٣) :

(١) ق : « بالرجل » .

(٢) ق : « فاته » .

(٣) سالم بن وابصة : أمير شاعر من أهل الحديث ومن التابعين . دمشق سكن الكوفة ومات في أواخر خلافة هشام حوالى سنة ١٢٥ . وهو من شعراء عبد الملك بن مروان . وأبوه وابصة صحابى جليل . راجع . الإصابة رقى ٣٠٤٤ و ٩٠٨٦ والمؤتلف ١٩٧ وخزانة الأدب ١ / ٢٩١ . ٢٩٤ . ٥٥٧ .

غِنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَلْخِ حَاجَةٍ
وَأَنَّ زَادَ شَيْئًا كَانَ ذَلِكَ الْغِنَى فَقَرَأَ^(١)
وهو قد استوفى جميع ذلك وزاد عليه بقوله : « ذكر الفتى عمره الثاني »^(٢) .

(٢٧٣)

وَتُوْفِي أَبُو شَجَاعٍ فَاتَكَ بِمِصْرَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ عِشَاءً^(٣) لِإِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةَ خَلَّتْ مِنْ
شَوَّالِ سَنَةِ خَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ^(٤) .
فَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ يَرِثُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ [وَبِهِجُو كَافُورًا] وَأَنْشَدَهَا بَعْدَ رَحِيلِهِ عَنِ
الْفَسْطَاطِ^(٥) :

١ - الْحُزْنَ يُقْلِقُ وَالتَّجَمُّلُ يَرُدُّ^(٦) وَالِدَمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِيٌّ طَبِيعُ

يقول : الحزن يحملني على الجزع ، والتجمل^(٦) يردعني عن الجزع ، فدمعي
متحير بين التجمل والقلق ، يعصي التجمل ويطيع القلق .

٢ - يَتَنَازَعَانِ دُمُوعَ عَيْنٍ مُسَهَّدٍ هَذَا يَجِيءُ بِهَا وَهَذَا يَرْجِعُ

(١) الحماسة ٤١١ والواحدى ٧١١ والبيان ٢٨٨/٣ ومحاضرات الأدباء ١/٥٢٥ وشرح البرقوق
٣/٥٠٦ ومعاني الشعر ٦٨ وفيها ذكرنا يروى :

غنى النفس ما يكفيك من سد خلة فإن زاد شيئاً عاد ذلك الغنى فقرا
(٢) ورواية ابن جني في البيان هي : قال أبو الفتح : ينبغي أن يلحق بالأمثال لأنه قد أوجز فيه
وجمع ، ومثله ما يحكى عن بعض ولد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه رأى يستی ماء فقبل له : بعد
الخلقة ؟ فقال : إنما فقدنا الفضول . ا. هـ .

(٣) ع : « وقت العشاء الأخيرة » .

(٤) انظر حوادث سنة ٣٥٠ ابن الأثير ٦/٣٦١ .

(٥) الواحدى ٧١١ : « وتوفى أبو شجاع فاتك بمصر ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال
سنة ٣٥٠ فقال يرثيه » . البيان ٢/٢٦٨ : « وقال يرثى أبا شجاع فاتكاً » . الديوان ٥٠٦ نص المذكور .
العرف الطيب ٥٣١ .

(٦) التجمل : التصبر . وفى ق « التحمل » بالخاء المهملة .

يقول : إن الحزن والتجمل يتنازعان : دموع عيني لا تنام . هذا يجيء بها ، أي الحزن يجيء بالدموع^(١) . وهذا يرجع . أي التجمل يردّها .

٣ - النَّوْمُ بَعْدَ أَبِي شُجَاعٍ نَافِرٌ وَاللَّيْلُ مَعِي وَالْكَوَاكِبُ ظَلَعُ

يقال : ظلع يظلع إذا عي من التعب فهو ظاليع ، والجمع ظلع .

يقول : قد زال عني النوم بعد موت أبي شجاع ، وطال علي الليل حتى كأنه معي لا نهوض له ، والكواكب أيضا لا تبرح مكانها حتى كأنها غامرة^(٢) .
يصف طول ليله عليه ، ودوام سهره .

٤ - إني لأجبن من فراق أختي وتحس نفسي بالحمام فأشجع

يقول : ليس حزني هذا من ضعف قلبي ، ولكنه إلف وعادة ، فنفسى إذا أحست بالموت أقدمت عليه ، وإذا أحست^(٣) بفراق صديق جنت عنه .

٥ - وَيَزِيدُنِي غَضَبُ الْأَعَادِي قَسْوَةً وَيُلِمُّ بِي عَتَبُ الصَّدِيقِ فَأَجْرَعُ

يقول : إذا غضب العدو ، لم أبال بغضبه ، بل ازددت قسوة عليه ، وإذا عتب^(٤) علي صديق أدنى عتب ، جزعت منه .

٦ - تَصْفُو الْحَيَاةَ لَجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ عَمَّا مَضَى فِيهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ

٧ - وَلَمَنْ يُغَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ وَيَسُومُهَا طَلَبَ الْمُحَالِ فَتَنْطَمِعُ

يقول : لا تصفو الحياة إلا لثلاث : إما جاهل بأحوال الدنيا ، أو غافل عما

(١) ق : « يجيء بالدموع » ساقطة .

(٢) ظلع : عرج في مشيه وغمز . وفي المثل : « لا يدرك الظالم شأو الضليع » اللسان .
يقول : النوم بعده نافر لا يالف العين . والليل يطول كأنه قد أعيا فلا يستطيع الانصراف والكواكب كأنها ظالمة لا تقدر أن تقطع الفلك فتغرب .

(٣) ق : من « أحست أحست » ساقط انتقال نظر .

(٤) ع : « عتبت » .

مضى ، وما ينتظره من الحياة ، أو من يغالط نفسه في الحقائق ، ويعملها بالأمانى
[٣٣٦ - ب] الكاذبة ويطمعها في الأمور المحالة .

٨ - أَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانَ مِنْ بُنْيَانِهِ ؟ مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا الْمَصْرَعُ !

الهرمان : بناءان^(١) شاهقان في الهواء ، وسَمَكٌ كل واحد منها أربع مئة ذراع
في عرض مثلها ، لا يعرف من بناهما ! ويقال : بناهما عمرو المشلل^(٢) .

« ما قومه ؟ » لفظه استفهام ، ومعناه التعظيم يعنى : أن هذا الباني مع قومه
وعزه سلطانه ، قد انقطع خبره ، فلا يعلم من هو ولا من أى أمة هو !!

٩ - تَتَخَلَّفُ الْآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا حِينًا ، وَيُدْرِكُهَا الْفَنَاءُ^(٣) فَتَتَّبِعُ

الهاء في « أصحابها » للآثار . يعنى : أن الآثار تبقى بعد أربابها زمانا ، ثم إن
الفناء يبطل الآثار أيضا ، فتتبع في الفناء [أصحابها] .

١٠ - لَمْ يَرْضِ قَلْبَ أَبِي شُجَاعٍ مَبْلَغُ
قَبْلِ الْمَمَاتِ وَلَمْ يَسَعَهُ مَوْضِعُ

يقول : كان بعيد الهمة ، لم يرض من الدنيا متلا ناله ، بل كان يطلب أكثر
مما ناله ، ولم يسعه موضع حتى مات ، فكأنه كرهها فارتحل عنها .

١١ - كُنَّا نَنْظُرُ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً ذَهَبًا فَمَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلَقَعُ

(١) ع : « منارتان » .

(٢) في النسخ « عمرو المشلل وعند الواحدى » عمرو بن المشلل وفى معجم البلدان : هرمث الأول
المدعو بالثلث الحكمة . ولم يعلم الغرض من بناء الأهرام حتى القرن الثامن الهجرى حيث يقول صنى الدين
البغدادى المتوفى سنة ٧٣٩ هـ صاحب مراصد الاطلاع يقول بعد أن ذكر جملة من أخبارها : « ولا يدري
ما الغرض فى بنائها . فلذلك كثرت الأقاويل فيها واختلفت » مراصد .

وأراد بالهرمين : الهرم الأكبر والهرم الأوسط وهما بناءان مشهوران ومن عجائب الدنيا وبمصر أهرامات
كثيرة كما تقول المراجع القديمة أشهر هذه الأهرام ما أشار إليه وهى بناء مصرى قديم ضخيم خصص لدفن
فرعون . والغالب أن العرب هم الذين سمو الهرم إشارة إلى قدمه . انظر الموسوعة العربية الميسرة .

(٣) ع : « ويلحقها الفناء » .

البَلْقَعُ : الخالية ، والجمع : بلاقع .

يقول : كُنَّا نَظُنُّ أَنَّ خَزَائِنَهُ مَمْلُوءَةٌ مِنَ الذَّهَبِ ؛ لكَثْرَةِ مَا كَانَ يَبْهَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، فَلَمَّا مَاتَ وَجَدْنَا دِيَارَهُ خَالِيَةً مِنَ الْمَالِ ؛ لِأَنَّهُ وَهَبَ مَالَهُ (١) فِي حَالِ حَيَاتِهِ ، وَلَمْ يَجْمَعْ إِلَّا أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ ذَكَرَهَا فِيهَا بِلِيهِ :

١٢- وَإِذَا الْمَكَارِمُ وَالصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَبَنَاتُ أَعْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ

« بنات أعوج » : هى الخيل ، تنسب إلى فعل كريم فى العرب يقال له :

أعوج .

يقول : كلُّ شَيْءٍ جَمَعَهُ فِي خَزَائِنِهِ فَهِيَ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ ، دُونَ الذَّهَبِ وَسَائِرِ

الْأَمْوَالِ . وَمِثْلُهُ لِآخَرَ :

وَلَمْ يَكْ كَثْرُهُ ذَهَبًا وَلَكِنْ سِوْفَ الْهِنْدِ وَالْحَلَقَ الْمُدَالَا (٢)

١٣- الْمَجْدَ أَخْسَرَ وَالْمَكَارِمُ صَفَقَةً

مِنْ أَنْ يَعْيشَ لَهَا الْكَرِيمُ الْأَرْوَعُ

« الْأَرْوَعُ » : الْجَمِيلُ الَّذِى يَرُوعُكَ جِوَالَهُ .

يقول : إِنْ الْمَجْدَ وَالْمَكَارِمَ قَدْ خَسِرْتَ صَفَقَتَهَا فَلَا يَعْيشُ لَهَا كَرِيمٌ يَعْنِى (٣)

بِأَمْرِهِمَا .

وتقدير البيت فى الظاهر : المجد والمكارم أخسر صفقة . وإعرابه على غير هذا

الوجه ؛ لأنك إذا عقلت « صفقة » « بأخسر » (٤) كنت قد فصلت بين الصلة

والموصول (٥) بقولك : « والمكارم » ولكن تحمله على إضمار فعل ينصب به

(١) ق : « ذهب ماله » .

(٢) جاء البيت فى شعر مروان ابن أبى حفصة ٨٠ وهو كذلك فى الواحدى ٧١٣ والبيان ٢/٢٧١ .

والرواية فيها : « حديد الهند » وطبقات ابن المعتز ٥٣٠ : « الحلق الفضلا » وشرح البرقوق ٣/١٧ .

(٣) ع : « فلا يعيش لثيماً كريماً يعنون » تحريفات .

(٤) ق : « إن عقلت صفقة باخر » تحريفات .

(٥) لأن « صفقة » نحل من « أخسر » محل الصلة من الموصول . ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول : زيد

أحسن وعمرو وجها ولكن لك أن تصرفه إلى وجه آخر . انظر تفصيلاً دقيقاً فى البيان ٢/٢٧١ .

« صفة » كأنك قلت : المجد أخسر والمكارم كذلك ، وتم الكلام . ثم استأنفت
« صفة » وأضمرت فيه فعلا أى : خسر المجد صفة .

١٤- وَالنَّاسُ أَنْزَلُ فِي زَمَانِكَ مَثْرًا
مِنْ أَنْ تُعَايِشَهُمْ وَقَدْرُكَ أَرْفَعُ

يقول لفاتك : إن الناس أنزل درجة من أن يستحقوا أن تعيش معهم ، وأنت
أرفع [٣٣٧ - ١] قدرًا من أن تصاحبهم ، فلما أنفت من ذلك اخترت الموت .

١٥- بَرْدٌ حَشَايَ إِنْ اسْتَطَعْتَ (١) بِلَفْظَةٍ
فَلَقَدْ تَضَرُّ إِذَا نَشَأَ وَتَنْفَعُ

يقول : إن قلبي فيه حرارة الحزن ، فبرده بلفظة منك أنتفع بها ؛ لأنك قد
كنت قادرًا على ضر من شئت ونفع من أردت ، فذلك (٢) لم يتعذر عليك .

١٦- مَا كَانَ مِنْكَ إِلَى خَلِيلٍ قَبْلَهَا مَا يُسْتَرَابُ بِهِ وَلَا مَا يُوجِعُ

« قبلها » : أى قبل هذه الحالة ، أو هذه المصيبة ، و« ما يستراب » : أى

ما يكره (٣) .

يقول : لم يكن منك قبل هذه الحالة ما يريب صديقك ويوجعه .

١٧- وَلَقَدْ أَرَاكَ وَمَاتِلُمُ مَلْمَةٌ إِلَّا نَفَاها عَنْكَ قَلْبٌ أَصْمَعُ

« قلب أصمع » : أى ذكى .

يقول : إذا نالتك مصيبة ، تدفعها عنك بقوة قلبك ، وحيدة ذكائك .

١٨- وَيَدٌ كَأَنَّ نَوَالَهَا وَقَاتِلَهَا (٤) فَرَضُ يَحِقُّ عَلَيْكَ وَهُوَ تَبْرَعُ

(١) ق : « إذا استطعت » .

(٢) ق : « ذلك » .

(٣) ق : « ما يكرهه » .

(٤) ع ق : « كأن قاتلها ونوالها » .

« وَيَدُّ » عطف على « قلب » .

يقول : كنت أعرفك ، إذا نزلت بك حادثة دفعتها عنك بذكاء قلبك وشدة
ساعدك ، فما بالك لم تدفعها الآن عنك ؟ ! وقوله : « كَأَنَّ نَوَالَهَا وَقَتَّالَهَا » أى أنك
لم تبخل بقتال ولا بذل نوال ، حتى كأنها واجبان عليك ، وهو تبرع وتفضل .
١٩- يَأْمَنُ يَبْدُلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً^(١) أَنَّى رَضِيتَ بِحُلَّةٍ لَا تُتْرَعُ؟

أى : يامن كان يبذل ، فحذف « كان » وكذلك فيما قبله ، كقوله تعالى :
(وَاتَّبِعُوا مَا تَلَوْنَا الشَّيَاطِينُ)^(٢) أى ما كانت تتلوا .

يقول : كنت تترع كل يوم حُلَّةً^(٣) للسؤال ، وتلبس حُلَّةً جديدة ، فكيف
رضيت الآن بحُلَّةٍ لا تترعها أبداً ، ولا تبدلها بغيرها ؟ يعنى الكفن .

٢٠- مَا زِلْتَ تَخْلَعُهَا عَلَى مَنْ شَاءَهَا حَتَّى لَبِستَ الْيَوْمَ مَا لَا تَخْلَعُ

يقول : لم تزل تخلص حُلَّتكَ على من طلبها حتى لبست الآن حُلَّةً لا يشهها
أحد ، ولا يسألك أن تخلعها عليه . والهاء فى « تخلعها » و « شاءها » للحلَّة .

٢١- مَا زِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرٍ فَادِحٍ حَتَّى أَتَى الْأَمْرَ الَّذِى لَا يُدْفَعُ

يقول : كنت^(٤) تدفع كل حادثة عظيمة تنزل بك ، حتى نزل بك الآن
مالا يمكن أحد دفعه^(٥) يعنى : الموت .

٢٢- فَظَلِلْتَ تَنْظُرُ لِأَرْمَاحِكَ شُرْعُ

فِيمَا عَرَكَ وَلَا سِيُوفِكَ قُطْعُ

(١) الواحدى والديوان : « كل وقت حلة » يريد أنه كلما لبس حلة خلعها على من يقصده ولبس

غيرها .

(٢) سورة البقرة ٢/١٠٢ .

(٣) الحلة : اللباس . قالوا ولا تسمى حلة حتى تكون من ثوبين .

(٤) ق : « لأنك كنت » .

(٥) ق : ع : « مالا يمكن أحدا دفعه » .

« عراك » : أى أتناك .

يقول : لما نزل بك حادث الموت ، لم تغن عنك رماحك وسيوفك ، لكنك ظَلَلت تنظر إلى أصحابك ، ولا يقدر أحد على دفعه عنك .

٢٣- بِأَبِي الْوَحِيدِ وَجَيْشِهِ مُتَكَاثِرٌ يَبْكِي وَمِنْ شَرِّ السَّلَاحِ الْأَدْمَعُ

يقول : أبى فداء المتوحد^(١) الذى جيشه كثير .

يعنى : أن جيشه لا يقدر^(٢) على دفع الموت [٣٣٧ - ب] عنه .

جعلله وحيداً لا ناصر له ، وكان جيشه يبكى عليه ، لأنهم لا يملكون له شيئاً سوى البكاء ثم قال : والدموع شر السلاح ؛ لأنه لا يدفع بها حادثة .

٢٤- وَإِذَا حَصَلْتَ مِنَ السَّلَاحِ عَلَى الْبِكَاءِ
فَحَشَاكَ رُعْتَ بِهِ ، وَخَدَّكَ تَقَرَعُ

يقول : إذا كان رأس سلاحك هو البكاء لم يصل ضرره إلا إليك ، لأنك تؤلم به قلبك وتقرع به خدك .

٢٥- وَصَلَتْ إِلَيْكَ يَدٌ سِوَاهُ عِنْدَهَا أَلْ
بَازِي^(٣) لِأَشْهَبُ وَالْغُرَابُ الْأَبْقَعُ

أراد يد الدهر ، والمراد بالبازى لاشهب : الكرم^(٤) . وبالغراب الأبقع :

(١) ع : « الوحيد » .

(٢) ع : « لما يقدر » .

(٣) فى الواحدى والديوان والتبيان يروى : « الباز الأشهب » بقطع همزة « ال » من الباز ووصل همزة الأشهب . بناء على أن همزة « ال » قد وقعت فى أول الشطر الثانى . فكأنه أخذ فى بيت ثان كما قال الآخر :

حَتَّى أَتَيْتُ فَتَى نَحِيْطَ خَائِفَا السَّيْفِ فَهُوَ أَخُو لِقَاءِ أُرْوَعِ

انظر الواحدى ٧١٤ والتبيان ٢٧٤/٢ والعرف الطيب ٥٣٤ .

(٤) الأشهب : ما غلب عليه البياض . والأبقع : فى الطير والكلاب كالأبلق فى الدواب .

اللثيم . يعنى : أن الموت إذا جاء لم يفرق بين الشريف والوضيع .

٢٦- مَنْ لِلْمَحَافِلِ وَالْجَحَافِلِ وَالسُّرَى ؟ فَقَدْتَ بِفَقْدِكَ نَيْرًا لَا يَطْلَعُ

« المحافل » : المجالس ، وقيل : هى جماعات الناس . و « الجحافل » : الخيل .
و « السرى »^(١) : جمع سراية . كأن قوام هذه الأشياء ، نيرها الذى غاب عنها
فلا يطلع أبدا .

٢٧- وَمَنْ اتَّخَذَتْ عَلَى الضُّيُوفِ خَلِيفَةً ؟

ضَاعُوا وَمِثْلَكَ لَا يَكَادُ يُضِيعُ

« مَنْ » استفهام . يعنى : كنت تتعاهد أمر أضيافك ، فن الذى تركت^(٢)
بعدك خليفة يقوم بأمورهم ؟ فإنهم ضاعوا ، ولم يكن من عادتك أن تضيع أحداً .

٢٨- قُبْحًا لِرُوجِهِكَ يَا زَمَانُ ! فَإِنَّهُ وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ قُبْحٍ مَبْرُوعٌ

يقول : قبح الله وجهك يا زمان ! فإنه وجه مبرقع بكل لؤم : أى كل فعل
منموم مجتمع فيك !

٢٩- آيَمَّتْ مِثْلُ أَبِي شُجَاعٍ فَإِنَّكَ وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ الْخَصِيُّ الْأَوْكَعُ !

« الأوكع » الذى تميل إبهام رجله^(٣) على أصابعه حتى تخرج عن أصله^(٤) ،

(١) السرى : سير الليل يعنى الزحف للغارة . وفى النسخ . السرى : جمع سرية وسرية تجمع على
سرايا .

(٢) ع : « تتعهد . . . فن تركت » .

(٣) ق : « رجله » .

(٤) المراد الذى أقبلت إبهام رجله على الساية حتى يرى أصلها خارجاً كالعقدة ويقال : عبد أوكع

أى لثم . العرف الطيب ٥٣٥ .

ويجوز أن يكون « فانتك » رفع بدلا من « مثل » وجرّ بدلا من (١) من « أبي شجاع » .

أنكر على الزمان موت فانتك وحياة كافر بعده ، وقال : ترك كافورا مع لؤمه ، وتهلك فانتكا مع شرفه وكرمه ؟ ! وإنما تفعل ذلك للؤمك ، فأنت تحامى من كان مثلك . وقوله : « أيموت مثل أبي شجاع » : أى يموت أبو شجاع ، و« مثل » زائدة .

٣٠- أَيْدٍ مُقَطَّعَةٌ حَوَالِي رَأْسِهِ
وَقَفَا يَصِيحُ بِهَا : أَلَا مَنْ يَضْفَعُ ؟

يقول : إن كافورا للؤمه وخسته يبعث الناس على صفعه (٢) ، فكأن قفاه يصيح : هل من أحد يصفعني ؟ ولكن كأن أيدى من حوله مقطوعة (٣) لا يقدرّون على صفعه وتناوله . وهذا على معنى الخبر ، أن أيديهم كذلك . ويجوز أن يكون دعاء على أصحابها فكأنه يقول : قطع الله هذه الأيدى .

٣١- أَبَقَيْتَ أَكْذَبَ كَاذِبٍ أَبَقَيْتُهُ وَأَخَذْتَ أَصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ
« ويسمع » : أى يجب .

يقول للزمان أول للموت : أبقيت كافورا الذى هو أكذب الناس قولا ، وأخذت فانتكا الذى هو أصدقهم قولا ووعدا [٣٣٨ - ١] ..

٣٢- وَتَرَكْتَ أَتْنَنَ رِيحَةٍ مَذْمُومَةٍ وَسَلَبْتَ أَطِيبَ رِيحَةٍ تَتَضَوَّعُ
ريح وريحة ورائحة بمعنى . وتضوعت رائحة الطيب : إذا انتشرت . وهذا البيت كالذى قبله .

(١) ع : « وجربوا بدلا » . ق : « وجربلا » تحريفات .

(٢) كأنه يلمح بهذا إلى قصته مع غلمان الإخشيد حين كانوا يصفعونه فى الأسواق على ما ذكر فى ترجمته لكافور .

(٣) ق : « مقطوفة » .

يعنى : « بأنتن ريحة » كافوراً و « بأطيب ريحة » فاتكا .

٣٣- قَالِيَوْمَ قَرَّرَ لِكُلِّ وَحْشٍ نَافِرٍ دَمَهُ وَكَانَ كَأَنَّهُ يَتَطَّلَعُ

يقول : إنه كان يديم قنص الوحش ، فلما مات استقر دم كل وحش في جلده بعد أن كان الدم يتطلع : أى يهم بالخروج من غير أن يجريه خوفاً منه .

وقيل : يتطلع الوحش : أى كان يهم بالخروج ولم يخرج خوفاً منه .

٣٤- وَتَصَالَحَتْ ثَمَرُ السَّيَاطِ وَخَيْلُهُ وَأَوْتُ إِلَيْهَا سُوقُهَا وَالْأَذْرَعُ

« ثمر السياط » : أطرافها .

يقول : إنه كان يديم ضرب خيله بالسياط في الحروب والغارات والصيد وطرد الوحش ، فلما مات تصالحت السياط مع خيله ، حتى سكنت إليها^(١) سوق الخيل وأذرعها ، وأمنت أذاها وآلمها ، إذ لا يضرها أحد بالسياط بعده .

٣٥- وَعَفَا الطَّرَادُ فَلَا سِنَانٌ رَاعِفٌ فَوْقَ الْقَنَاقَةِ وَلَا سِنَانٌ يَلْمَعُ^(٢)

الطراد : مُطَارِدَةُ الْفُرْسَانِ^(٣) . وقيل : هو الرَّمح الصغير . « وعفا » : أى

درس .

يقول : عفا بموته رسم الطعان والضراب ، فلا يرى بعده سنان راعف : أى قد طعن به فهو يقطر دما ، وكذلك لا يرى سيف يلمع ويرق .

٣٦- وَوَلَّى وَكُلُّ مُحَالِمٍ وَمُنَادِمٍ بَعْدَ اللُّزُومِ مُشِيعٌ وَمُودِعٌ

المحالم : المصادق .

يقول : لما مات تفرقت ندماءه وأصدقاؤه ، فودع بعضهم بعضاً وشيعة^(٤) ،

(١) يقول الواحدى والنيان والعرف الطيب المعنى أنه : لما مات « فاتك » عادت إلى الخيل أذرعها

وسوقها . وكانت غائبة عنها . لأنه كان يركضها دائماً . (٢) ع : « ولا سيف تلمع » .

(٣) وهو التجاول في الحرب . (٤) ع : « وودع بعضهم وشيعة » .

بعد أن كانوا مُلازمين لا يتفرقون . وقيل : أراد ودّع فاتكاً كُلُّ منادم وصديق .

٣٧- قَدْ كَانَ فِيهِ لِكُلِّ قَوْمٍ مَلْجَأٌ وَلَسِيْفِهِ فِي كُلِّ قَوْمٍ مَرْتَعٌ

يقول : قد كان فاتك ملجأً ينتمي إليه كل قوم عندما يقع لهم من الحوادث ، وكذلك سيفه كان يقتل كل قوم ، فكانه يرتع في لحوم القتلى .

٣٨- إِنْ حَلَّ فِي (فُرْسٍ) فَفِيهَا رُبُّهَا
(كِسْرَى) تَذِلُّ لَهُ الرُّقَابُ وَتَخْضَعُ

« الفُرس » : أهل فارس . والهاء في « فيها » ترجع إلى الفُرس ، وأراد به أرض فارس ، أو القبيلة أو الجماعة .

٣٩- أَوْ حَلَّ فِي (رُومٍ) فَفِيهَا (قَيْصَرٌ)
أَوْ حَلَّ فِي (عُرْبٍ) فَفِيهَا (تَبْعٌ)

يقول : إن فاتك كان في الفُرس كسرى ، وفي الروم قيصرًا ، وفي العرب تبعًا .
والتباعةُ : ملوك اليمن .

٤٠- قَدْ كَانَ أَسْرَعُ فَارِسٍ فِي طَعْنَةٍ
فَرَسًا ، وَلَكِنَّ الْمَنِيَّةَ أَسْرَعُ

« فرسا » : نصب على التمييز . والتقدير : كان أسرع فارس فرسا^(١) في طعنه .
يقول : كان أحذق بالطعن [٣٣٨ - ب] من كل فارس ، وفرسه أسرع من كل فرس^(٢) ، ولكن لم ينفعه ذلك حين جاء الموت .

(١) ع : « فرسا » ساقطة .

(٢) ق : « فارس » تحريف .

٤١- لاقَلْبَتْ أَيْدِي الْفَوَارِسِ بَعْدَهُ رُمْحًا وَلَا حَمَلَتْ جَوَادًا أَرْبَعًا^(١)

يعني : أنه كان حاذقًا بركوب الخيل والطعن بالرمح ، فإذا قامت فلا حملت فرسا قوائمه الأربع ، ولا حمل فارس رمحا بيده^(٢) .

(١) في النسخ : « لا قبلت ... حكمت جواداً أربعاً » .

(٢) يعني : أن الطعان وركوب الخيل لا يليقان إلا به فيقول على سبيل الدعاء : لا حمل الفرسان

بعده رمحا ، ولا حملت الخيل قوائمها .